ما هي أهداف إيران في أفغانستان؟

دراسة صادرة عن مركز برنت سكوكروفت لدراسات الأمن الدولي
مترجمة من قبل مركز إدراك للدراسات والاستشارات

إعداد: أليكس فاتنكا

مركز إدراك للدراسات والاستشارات

كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٧

المحتوى

ملخص موجز: ٣
مقدمة: ٣
المقاربة الإيرانية للمسألة الأفغانية..... ٦
تطور الموقف من طالبان..... ١١
المخاوف الأمنية المشروعة في مواجهة المخاطرة بالتدخل في شؤون الأفغان..... ١٦
عقلية المجموع الصفري التي لا طائل منها..... ١٩

ملخص موجز:

التصدي: إن فضح إيران والتصدي لها هو مشروع لمبادرة السلام والأمن في الشرق الأوسط. هذه السلسلة من التقارير تتفحص الدوافع، والأهداف والعراقيل المحيطة بمساعي إيران لتقويض السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط؛ وإعادة تشكيل النظام في منطقة الشرق الأوسط بحسب رغبتها. وبالاعتماد على أدلة علمية دقيقة وتحليلات الخبراء، يقدم هذا العمل توصيات إستراتيجية وسياسية للتصدي للخطر المتعاظم الذي تمثله إيران على استقرار الشرق الأوسط.

مقدمة:

"...لهذا، يمكن القول إن أحد الأهداف الإستراتيجية التي دفعت الولايات المتحدة إلى مهاجمة أفغانستان سنة ٢٠٠١، ومواصلة احتلالها بعد ذلك، يتمثل في التصدي للنفوذ الإيراني في هذا البلد".[١]

يسود هذا الرأي المشار إليه في الفقرة السابقة في إيران، ويعبر عنه كل المسؤولين الحكوميين وأجهزة الإعلام الرسمية. وما تكشفه هذه المشاعر هو أن المقاربة الإيرانية في أفغانستان لا تزال في مجملها مقتصرة على البعد الأمني، وهذا البلد برمته يعتبر مسألة ثانوية ضمن المساعي الإقليمية لطهران لفرض نفوذها.

بعبارة أخرى؛ ينظر إلى هذه المسألة المتعلقة بالسياسة الخارجية في إيران على أنها لعبة توازنات تدخل فيها مجموعة من الخصوم والشركاء في المنطقة. وفي هذا السياق تعد العلاقات المتصدعة بين إيران والولايات المتحدة عاملاً مهماً يؤثر بشكل كبير على طريقة سعي طهران لتحقيق التوازن بين مصالحها الجيوسياسية والأمنية والاقتصادية في أفغانستان.

---

[١] أمير م. حاجي يوسفي، "السياسة الخارجية الإيرانية في أفغانستان: الوضع الحالي والاحتمالات المستقبلية"، دراسات جنوب آسيوية ٢٧,١، (كانون الثاني/يناير- حزيران/يونيو ٢٠١٢) ٦٣-٧٥.

وعلى الرغم من أن مقاربة طهران في أفغانستان ترتكز على البعد الأمني، فإنه لا يمكن وصفها بأنها جامدة أو غير قابلة للتعديل. في الواقع تغيرت السياسة الإيرانية تجاه هذا البلد بشكل ملحوظ منذ التدخل العسكري الأمريكي في أفغانستان سنة ٢٠٠١.

في أواخر سنة ٢٠٠١، وخلال خلاف مع المتشددين في الدولة الإيرانية حول إعادة صياغة السياسات وإمكانية مساعدة الولايات المتحدة في حملتها ضد طالبان، نجحت الحكومة المعتدلة بقيادة محمد خاتمي في فرض رؤيتها في طهران، وانتهى المطاف بإيران إلى عرض التعاون مع واشنطن في الحملة العسكرية ضد طالبان، إلا أن هذا التعاون الإيراني الأمريكي في أفغانستان تبين لاحقاً أنه لم يكتب له الاستمرار طويلاً.

رغم التقلبات التي شهدتها العلاقات الأمريكية الإيرانية فإن هناك نوعاً من الإجماع السياسي الذي تبلور في طهران، يقوم بالأساس على افتراض أن علاقة طهران بواشنطن هي علاقة خصومة، وأن هذا العامل سوف يظل ثابتاً في المستقبل المنظور. ولا يخفي العديد من الإيرانيين تبعاً لذلك اعتبارهم أي تقهقر أمريكي في أفغانستان انتصاراً واضحاً لبلادهم.

إن هذا الموقف الإيراني غير حكيم ولا ينم عن بعد نظر، خاصة عند وضعه في سياق تاريخي أشمل. فبالنظر للتاريخ الحافل بفشل جيران أفغانستان في الاتفاق على خطة مشتركة لإعادة هذا البلد إلى نسق الحياة الطبيعي، فإن اعتبار طهران أن أي نجاح للولايات المتحدة في أفغانستان هو أمر لا يصب في مصلحتها، هو موقف لا يستوعب المنافع التي ستعود على إيران عند تحقيق أفغانستان لقدر من الاستقرار والسلام.

في الواقع إن النظر إلى العلاقات الأمريكية الإيرانية على أنها مجرد خصومة هو أمر لم يعد يحظى بالإجماع؛ فهناك توافق بدأت تتسع رقعته شيئاً فشيئاً في أوساط مسؤولي الأمن القومي في إيران، حول فكرة أن الأحداث الواقعة في أفغانستان لها تأثير مباشر على المصالح القومية لبلدهم، وهذا بدوره يستوجب من طهران التحرك بشكل نشط على عدد من الجبهات. وهذه الأولويات تتضمن: التقرب من المحافظات الغربية في أفغانستان لأنها تقع على الحدود الإيرانية، بهدف خلق منطقة نفوذ والسعي إلى احتواء أفغانستان داخل دائرة النفوذ الاقتصادي الإيراني عبر المبادرات الثنائية والإقليمية، على غرار

الاتفاق الإيراني الأفغاني الهندي، الذي يهدف لاستخدام ميناء شهبار الإيراني كنقطة للتجارة بين الهند وإيران وأفغانستان، والدول الموجودة في قلب آسيا الوسطى.[٢]

لإيران جملة من المصالح؛ منها ما يتعلق بالأهداف الرئيسية والمخاوف الأمنية، ومنها الاعتبارات قريبة المدى، والمصالح المعروفة وأخرى في طور التشكل، على غرار:

- العلاقة مع طالبان باكستان.
- موقفها ممَّا تعتبره جبهة أمريكية باكستانية سعودية في أفغانستان.
- الاستعداد لبعض التغييرات الاجتماعية والاقتصادية المنتظرة في أفغانستان، ومنها تغييرات ديمغرافية جذرية متوقعة.
- قضية المواطنين الأفغان الشيعة وكيفية العمل معهم ليكونوا ذراعاً لخدمة المصالح الإيرانية في أفغانستان ومناطق أخرى في الشرق الأوسط.

إن الشيء الوحيد المؤكد هو أن إيران والولايات المتحدة، كما هو واضح، ستواصلان تدخلهما في أفغانستان على المدى البعيد، إلا أنه لم يتم إلى حد الآن ضبط أي تعريف عملي وواضح لما سيكون عليه "الانتصار الإيراني" في أفغانستان.

وفي حين أن هذا السؤال مفتوح على كل الاحتمالات في الوقت الحاضر، أظهر الإيرانيون ميلاً نحو إعادة تقييم سياساتهم السابقة، ومنها معارضتهم لطالبان أفغانستان. وفي الواقع يقر المسؤولون الإيرانيون اليوم بشكل علني بأن بلادهم قامت بتغيير كامل في مواقفها من مستقبل طالبان.

---

[٢] أراش كارامي، "روحاني يتحدث عن "يوم تاريخي" بالنسبة لإيران والهند وأفغانستان"، المونيتور، ٢٣ أيار/مايو، ٢٠١٦ http://www.al-monitorcom/pulse/originals/٢٠١٦/٠٥/iran-india-modi-chabahar-afghanistan-ghani.html

وبكل بساطة يمكن القول إن الهدف النهائي لإيران في أفغانستان يتمثل في تنفيذ إستراتيجية متعددة المسارات لتركيز قوتها الناعمة والعسكرية، بالتوازي مع محاصرة نفوذ أقوى أعدائها. وتراهن إيران، من أجل تحقيق مبتغاها، على المجموعات السياسية الأفغانية، وبشكل متزايد على حركة طالبان.

المقاربة الإيرانية للمسألة الأفغانية

تعتبر الروابط بين إيران وأفغانستان قوية، وهذا صحيح على مستوى التقارب الجغرافي، والروابط الثقافية، وحتى العلاقات الطائفية باعتبار أن نحو ١٥ أو ٢٠ في المئة من الأفغان هم من المسلمين الشيعة، وهو مذهب إيران. وتقع أفغانستان بأكملها، بكل ما تضمه من مجموعات دينية وعرقية، ضمن أرض إيران التاريخية، وهي دائرة الثقافة الإيرانية المتجذرة هناك ضمن موروث الإمبراطوريات الفارسية المتعاقبة.

ثمة اعتقاد سائد في الأدبيات الإيرانية الرسمية بأن طهران لطالما كانت القوة الخارجية المسيطرة في أفغانستان، منذ أن برزت كدولة مستقلة في سنة ١٧٤٧ تحت حكم أحمد شاه دراني. كانت أفغانستان الغربية جزءاً من الإمبراطورية الفارسية إلى أن تم التخلي عنها لأفغانستان في منتصف القرن التاسع عشر، بفضل الاتفاقات التي رتب لها البريطانيون الذين كانوا يسعون لإقامة منطقة عازلة حول جوهرتهم النفيسة الهند البريطانية.[٣]

خلال فترة حكم محمد رضا بهلوي، شاه إيران بين سنتي ١٩٤١ و١٩٧٩، كانت إيران متدخلة بشكل كبير في أفغانستان، حيث لم يكن الشاه يعتبر نفسه الضامن لاستقلال أفغانستان عن الاتحاد السوفييتي فقط، بل أيضاً وسيطاً نزيهاً يمكنه جمع مختلف المصالح والتيارات الأفغانية على طاولة واحدة. وكانت مقاربات الشاه تجاه أفغانستان ترتكز بشكل كبير على البعد الأمني، وهو نمط انتقل فيما بعد إلى النظام الإسلامي الثوري الذي تمت إقامته سنة ١٩٧٩.

[٣] أليكس فاتنكا، إيران وباكستان: الأمن، الدبلوماسية والتأثير الأمريكي، (لندن: أي بي توريس، ٢٠١٥) ٨٣-٨٨.

وكان على رأس أولويات الشاه إبقاء هذا البلد خارج وصاية الاتحاد السوفييتي. وعندما تم إسقاط الملك الأفغاني محمد ظاهر شاه سنة ١٩٧٣ على يد ابن عمه اليساري محمد داود خان، الذي نجح في إنهاء الحكم الملكي في أفغانستان على غفلة من طهران، ذهب الشاه الإيراني إلى حد بعيد في جهوده المستميتة من أجل إعادة محمد ظاهر شاه إلى الحكم مجدداً.[٤]

وهدد الشاه الإيراني، في أوقات أخرى، بالعمل على ضم أفغانستان الغربية إلى بلاده، وهي طريقة لإجبار كابول على الإذعان عندما كانت ترفض التعاون. وكانت طهران تواجه، خلال تلك الفترة، عدداً من الخلافات الجوهرية مع كابول، وهي كلها لا تزال قائمة لحد الآن.

ومن بين هذه الخلافات نذكر مسألة الاستغلال المشترك لمياه نهر هلمند، [٥] ومسألة دعم كابول للمسلحين المنتمين لعرق البلوش في إيران في حملتهم ضد النظام الحاكم في طهران، إضافة إلى الخوف الإيراني المزمن من أن تصبح أفغانستان قاعدة خلفية يستغلها طرف ثالث لشن تحركات تهدف لتقويض استقرار إيران، مثلما حدث إثر الثورة الشيوعية سنة ١٩٧٨، عندما انضمت أفغانستان إلى معسكر معاداة الإمبريالية، وتبنت مواقف تتعارض مع سياسات شاه إيران.

كان الشاه ينظر إلى الاتحاد السوفييتي، في ذلك الوقت، على أنه قوة خارجية معادية. أما اليوم فتنظر الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة، وخاصة المملكة العربية السعودية وبدرجة أقل باكستان، على أنهم يمثلون خطراً محدقاً. بعبارة أخرى؛ إن الخوف من أن تصبح أفغانستان قاعدة خلفية لتهديد إيران بات عاملاً مزمناً يؤثر في الحسابات الإيرانية، بقطع النظر عن نوعية النظام الممسك بزمام السلطة في طهران.

---

[٤] فاتنكا، إيران وباكستان، ٨٤-٨٥.

[٥] فاطمة أمان، "الصراع على الماء يتصاعد بين إيران وأفغانستان"، المجلس الأطلسي، ٧ أيلول/سبتمبر، ٢٠١٦، Atlantic Council، September ٧, ٢٠١٦, http://www.atlanticcouncil.org/publications/issue-briefs/water-dispute- escalating-between-iran-and-afghanistan

أدى ظهور طبقة حاكمة من الإسلاميين في إيران سنة ١٩٧٩ إلى مزيد من تعقيد العلاقات بين طهران وكابول. فعلى عكس السياسات الإيرانية اليوم لا يوجد أي مؤشر على أن الشاه كان قد عمل على التدخل بشكل مباشر في الشؤون الأفغانية، عبر دعم مجموعات معينة على أساس الحسابات العرقية والطائفية من أجل تحقيق مصالح إيران.

ويقر المسؤولون الإيرانيون بأن بلادهم حاولت باستمرار، منذ سنة ١٩٧٩، مغازلة هذه المجموعات الأفغانية والفصائل السياسية التي تتشاطر معها الهوية الدينية أو اللغوية. وبشكل خاص حاولت أغلب الأنشطة الإيرانية في أفغانستان استهداف طائفة الشيعة الهزارة، وأبناء عرق الطاجيك، الذين هم في أغلبهم من السنة ولكنهم يتكلمون الفارسية، حيث استأثرت هاتان المجموعتان بغالبية الاهتمام الإيراني والدعم الموجه نحو التعليم والإعلام. في هذا الإطار يقدر أحد المسؤولين الأفغان البارزين، وهو داود مراديان، أن طهران تصرف نحو ١٠٠ مليون دولار سنوياً على المدارس الدينية والمشاريع الإعلامية والمجتمعية في أفغانستان.[٦]

يهدف التدخل الإيراني للتأثير على النخبة السياسية الحاكمة في أفغانستان بقطع النظر عن خلفياتها. ومن أبرز الأدلة على ذلك نذكر الدعم الإيراني للرئيس الأفغاني السابق حميد قرضاي، علماً بأنه سني ومنتم لعرق البشتون. وفي سنة ٢٠١٠ اضطر قرضاي إلى الاعتراف علناً بأن إيران قدمت له في عدة مناسبات حقائب من الأموال في قصره الرئاسي، إلا أنه وصفها بأنها مجرد "مساعدة روتينية".[٧]

---

[٦] إيمي فيريس روتمان، "نظرة من الداخل: لعبة إيران الكبرى في أفغانستان"، رويترز، ٤ أيار/مايو، ٢٠١٢، http://www.reuters.com/article/us-afghanistan-iran-media-idUSBRE٨٤N٠CB٢٠١٢٠٥٢٤

[٧] إيرنستو لندناو، "إيران تكثف جهودها للتأثير على السياسة الأفغانية"، واشنطن بوست، ٤ كانون الثاني/يناير ٢٠١٢، https://www.washingtonpost.com/world/asia_pacific/iran-strives-to-playspoiler-in-afghanistan/٢٠١٢/٠١/٠١/gIQAZ٦gCbP_story.html

في ذلك الحين أكدت العديد من التقارير الغربية أن إيران نجحت في كسب ولاء نحو خمسة أعضاء في البرلمان الأفغاني البالغ عددهم ٢٤٩ نائباً.[٨] وعلى الرغم من أنه لا يمكن إثبات هذه الادعاءات بشكل فعلي، فإن نظرة سريعة على المواد الإعلامية المرئية والمكتوبة في أفغانستان، وتصريحات المسؤولين الحكوميين في كابول تعكس درجة تغلغل النفوذ الإيراني في هذا البلد، ومن ثم نجاح إيران في فرض قوتها الناعمة.

ولكن الهدف النهائي لإيران، سواء تمثل في العمل على المستوى الشعبي القاعدي من أجل تحقيق القوة الناعمة وحشد الدعم في أوساط الشعب الأفغاني، أو كان كسب ولاء الشخصيات السياسية البارزة، يهدف في النهاية إلى ضمان نفوذ إيران في السياسات المستقبلية الأفغانية عبر مؤسسات الحكم. لذلك فغالباً ما تكون الآليات التي يعتمدها الإيرانيون مشابهة لتلك التي يعتمدها خصومهم هنا. فعلى سبيل المثال أقر المسؤولون في الحكومة الأمريكية هم أيضاً بإرسالهم حقائب من الأموال لقصر الرئيس قرضاي كطريقة لإقامة علاقات تعاون معه.[٩]

ومع ذلك تبقى مظاهر التأثير الإيراني في الأفغان مميزة، فمن بين الشكاوى التي يرددها المسؤولون الأفغان كثيراً، ومن ضمنهم داود مراديان، أن الجمهورية الإسلامية أهدرت العديد من الفرص للقيام بخطوات بناءة لكسب ثقة المواطن الأفغاني؛ بسبب فشلها في احترام القيم الثقافية المشتركة بين شعبي البلدين كعنصرين تاريخيين في أرض إيران التاريخية.

ومارست طهران، عوضاً عن ذلك، الانتقائية بشكل علني وذلك عبر التركيز على الأفغان الشيعة فقط أو أبناء العرق الطاجيكي، أو الذهاب نحو استخدام الرسائل الإيديولوجية والطائفية المثيرة للجدل، والمعادية للولايات المتحدة غالباً، لمخاطبة أقلية من الشعب الأفغاني، متسببة بنشر القلق والحيرة لدى الغالبية حيال النيات الحقيقية لطهران.

---

[٨] علي رضا نادر، "نفوذ إيران في أفغانستان، تداعياته على تراجع الحضور العسكري الأمريكي، "مؤسسة راند"، ١١ حزيران/ يونيو ٢٠١٤، http://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/research_reports/ RR٦٠٠/RR٦١٦/RAND_RR٦١٦.pdf

[٩] ماثيو روزنبرغ، "تسعى وكالة المخابرات المركزية للتأثير في أفغانستان باستخدام حقائب المال"، نيويورك تايمز، ٢٨ نيسان/ أبريل ٢٠١٣ http://www.nytimes.com/٢٠١٣/٠٤/٢٩/world/asia/cia-delivers-cash-to-afghanleaders-office.html

ودأبت السلطات الإيرانية، بشكل اعتيادي، على تصوير نشاطاتها على أنها دفاعية بحتة، ولا تعدو أن تكون رداً على المساعي الأمريكية لاحتواء النفوذ الإيراني في أفغانستان. ولكن باتت طهران الآن تنظر نحو المملكة السعودية بقلق متزايد، ومن ثم أصبحت تعتبر أن التصدي للمخططات السعودية في أفغانستان هو ضرورة تستدعي التدخل الحازم.

كانت الرياض قد أعلنت سنة ٢٠١٦ أنها سوف تبني جامعة إسلامية في ولاية نانجارهار في شرقي أفغانستان، بكلفة تبلغ ٥٠٠ مليون دولار، وهو ما أثار فزع طهران على الفور. ووافق السعوديون في سنة ٢٠١٢ على بناء جامعة إسلامية أخرى في كابول.[١٠] وتتضمن مخاوف طهران اللغة التي سيتم اعتمادها في التدريس، خاصة أن كلتا الجامعتين اللتين تعتزم السعودية بناءهما ستعتمدان اللغة العربية في كل الدروس، على الرغم من أن الفارسية لطالما كانت اللغة الأولى والسائدة في أفغانستان لقرون عديدة.[١١] علاوة على ذلك، بدأت الأموال السعودية تتدفق بشكل مفاجئ على أفغانستان وبمبالغ ضخمة، وهذا أثار حفيظة طهران التي تعلم جيداً أن المال السعودي ترافقه دائماً رسائل دعاية معادية لطهران.

على صعيد آخر، كانت طهران منذ فترة تتابع بكل اهتمام، وربما ببعض القلق والحيرة، الاستقبال الحار الذي حظي به الرئيس الأفغاني عبد الله عبد الله من قبل السعوديين، لدى زيارته للرياض في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٦، بعد أن كان يعتبر لفترة طويلة حليفاً لإيران.[١٢] وقد سارع الإعلام الأفغاني حينها للإشارة إلى أن تلك كانت المرة الأولى منذ نحو ٣٠ سنة التي يتم فيها توجيه دعوة لمسؤول من العرق الطاجيكي، ومقرب من طهران، لزيارة المملكة العربية السعودية.[١٣]

---

[١٠] "ستبني المملكة العربية السعودية أكبر مركز إسلامي في أفغانستان"، بي بي سي، ٢٨ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٢، http://www.bbc.com/persian/afghanistan/٢٠١٢/١٠/١٢١٠٢٨_zs_saudi_islamic_centre_kabul.shtml

[١١] المملكة السعودية ستبني جامعة بكلفة ٥٠٠ مليون دولار في نانجارهار"، ميدل إيست برس، ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٦، http://middleeastpress.com/english/saudi-arabia-to-build-university-worth-٥٠٠-millionin-nangarhar

[١٢] هارون نجفي زاده، "أفغانستان ساحة صراع أخرى لإيران والسعودية؟"، بي بي سي، ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٦، http://www.bbc.com/persian/afghanistan-٣٨٠٤٣٤٨٣

[١٣] "الزيارة المهمة لعبد الله للمملكة العربية السعودية"، صحيفة منديكار اليومية، ١٦ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٦، http://bit.ly/٢oNasjl

وقبل أشهر قليلة، في كانون الثاني/ يناير من سنة ٢٠١٦، كان عبد الله قد اختار زيارة إيران بعد أيام من قطع الرياض علاقاتها معها. وبسبب هذا التوقيت الدقيق اعتبر المسؤولون الإيرانيون أن تلك الزيارة التي قام بها الرئيس الأفغاني علامة على ولاء كابول لطهران.

ولكن لا يمكن رؤية الارتياب الإيراني من زيارة عبد الله للرياض إلا في سياق لعبة النفوذ والتوازنات ضد الولايات المتحدة وحلفائها في أفغانستان، إذ توجب على طهران إعادة صياغة البعض من سياساتها التي دأبت عليها، ومنها موقفها التاريخي من حركة طالبان.

تطور الموقف من طالبان

اقتصر الموقف العلني لطهران من حركة طالبان لوقت طويل على نفي إقامة أي علاقات مع هذه الجماعة، إلى جانب اتهامها بأنها تنظيم إرهابي. وبمرور السنوات تغير هذا الموقف بشكل لافت، وفي موقف مثير للاهتمام خلال سنة ٢٠٠٩ كان علاء الدين بروجردي، البرلماني الإيراني البارز والمتمرس في السياسات الإيرانية تجاه أفغانستان، قد وصف فكرة الدخول في مفاوضات مع طالبان بأنها غير مقبولة. حيث قال حيال هذا الشأن إن هذه الجماعة هي مجموعة إرهابية تظهر صورة مغلوطة عن الإسلام، ومن ثم لا يمكن اعتبارها شريكاً لإقامة السلام في أفغانستان.[١٤]

كانت القيادة الإيرانية في تلك الفترة متوترة أصلاً بسبب ظهور احتمالات استعادة حركة طالبان لقوتها، بفضل دعم خصوم إيران في المنطقة. وفي تشرين الأول/أكتوبر من سنة ٢٠٠٨، كانت السعودية قد احتضنت محادثات سلام بين

---

[١٤] سيلگنا و اكيرمآ تاركاذم :هسنارف يناملراپ تئيه سيئر اب راديد رد يدرجورب تسا ناتسناغفا رد تسكش يانعم هب نابلاط اب وكالة فارس للأنباء، ١٤ آب/أغسطس ٢٠١٧، http://www.farsnews.com/newstext. php?nn=٨٧٠٧٢٠١٤٥؛

"بروجردي خلال زيارة الوفد الفرنسي: المفاوضات بين الغرب وطالبان تفاقم الإرهاب"، وكالة مهر للأنباء، ١٤ آب/أغسطس ٢٠١٧، http://bit.ly/٢hXBmlP

طالبان والحكومة الأفغانية.[١٥] وفي تلك الأثناء كانت إيران تشاهد من بعيد ما يجري وتشعر بالغضب حيال جهود الوساطة السعودية، لذلك قررت التحرك بسرعة لمنع تراجع نفوذها وخسارة موقعها كأحد أبرز صانعي السياسات في كابول. فمن وجهة نظر طهران كان أي نجاح محتمل للمبادرة السعودية في أفغانستان يعني بشكل آلي انحسار النفوذ الإيراني في هذا البلد.

وبعد ذلك بفترة قصيرة بدأت إيران سنة ٢٠١١ بإطلاق بالونات اختبار، حيث وجهت دعوة لوفد من حركة طالبان لحضور مؤتمر العالم الإسلامي في طهران.[١٦] والحذر الإيراني هنا كان مفهوماً؛ حيث كان الإيرانيون سابقاً على وشك إعلان الحرب ضد طالبان بعد أن قامت هذه الجماعة بقتل دبلوماسيين وموظفين إيرانيين عند استحواذها على مدينة مزار الشريف سنة ١٩٩٨. لذلك كانت هذه المسألة تنطوي على حساسية كبيرة بالنسبة للرأي العام الإيراني، ولكن طهران فضلت التحرك في هذا الاتجاه وسعت لإقامة علاقات عمل مع طالبان ولو على نطاق محدود.

وقد تغيرت مواقف طهران من طالبان كثيراً بدافع خوفها من خسارة نفوذها وعدم القدرة على أداء دور الوسيط الموثوق والمرن، بالإضافة إلى صعود تنظيم الدولة في العراق وسوريا وظهوره في أفغانستان سنة ٢٠١٤. لقد بدأت إيران بالنظر لطالبان كصمام أمان ضد صعود التنظيم الجديد، الذي يفوق طالبان بكثير في عدائه لإيران وللشيعة. لذلك يشير كثير من المسؤولين الأفغان إلى أن هذه المراجعة التي قامت بها إيران هي السبب المنطقي وراء تدفق الأسلحة الإيرانية لعناصر طالبان.[١٧]

---

[١٥] نك روبرتسون، "مصادر: السعودية تحتضن محادثات سلام أفغانية مع ممثلين عن طالبان"، سي أن أن، ٥ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٨، http://www.cnn.com/٢٠٠٨/WORLD/asiapcf/١٠/٠٥/afghan.saudi.talks

[١٦] إرنستو لندناو، "استقبال إيران لطالبان يعكس رغبتها في لعب دور أكبر"، واشنطن بوست، ٢٩ أيلول/سبتمبر ٢٠١١، https://www.washingtonpost.com/world/asia-pacific/irans-hosting-of-taliban-reflects-desire-for-greater-role/٢٠١١/٠٩/٢٨/gIQAkmwOYK_story.html

[١٧] الخوف من الدعم الإيراني لطالبان في غرب أفغانستان"، دويتشه فيله، ١٣ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧، http://bit.ly/٢nx٣QQT

في سياق منفصل، مثّل تغير موقف طهران من طالبان إشارة سلبية إلى واشنطن، بالنظر إلى الجهود المحمومة التي كانت تبذلها هذه الأخيرة لعزل طهران وفرض عقوبات ضدها على خلفية برنامجها النووي. وفي طهران تم تبرير المراجعات التي أجريت على الموقف من طالبان بأن ذلك يعكس الحقائق الجديدة على الميدان في أفغانستان. وبعبارة أخرى فإن المدافعين عن هذا التغيير احتجوا بأن مواصلة تجاهل قدرات طالبان وموقعها كلاعب سياسي دائم في أفغانستان سيؤدي لإضعاف تأثير إيران على صنع السياسات في كابول.[١٨]

يبدو أن إيران أعادت التفكير مجدداً في موقفها السابق الرافض تماماً للتعامل مع حركة طالبان أو الاعتراف بها. ففي أيار/مايو من سنة ٢٠١٦ عندما أدى هجوم أمريكي لتصفية الملا مختار منصور زعيم التنظيم، الذي كان في طريقه لباكستان بعد إقامته في إيران، كانت تأكيدات إيران بأنها لا علاقة لها بالتنظيم غير جادة ولا مقنعة، على عكس ما هو الحال في مواقفها من قضايا أخرى. لذلك اعتبر كثيرون في المجتمع الدولي أن هذه النبرة التي لم تعد عدائية تجاه طالبان كما في السابق تعتبر تغييراً جذرياً في السياسة الإيرانية.[١٩]

يقر المسؤولون الإيرانيون اليوم بشكل علني بوجود علاقات بينهم وبين طالبان. ففي كانون الثاني/يناير من سنة ٢٠١٧، خلال لقاء مع الدبلوماسي البارز والسفير السابق في كابول رسول موسوي، وهو لقاء اتسم بالصراحة على غير العادة، قدم هذا المسؤول معلومات واضحة حول التغير الإيجابي الذي طرأ على موقف بلاده من طالبان، مؤكداً أن الأمر سيستمر على هذا النهج.

كما عبر موسوي خلال حديثه عن الإجماع الحاصل في طهران حول هذه المسألة، قائلاً إن السياسة الإيرانية تركز على زيادة النفوذ في أفغانستان، بهدف حماية الأمن القومي الإيراني. ومن المؤكد أن طهران مستعدة للعمل مع أي فصيل أفغاني في سبيل تحقيق هذا الهدف، حتى لو كان عدواً سابقاً مثل طالبان. كما أكد موسوي هذا الموقف بالقول إن إيران تقف

---

[١٨] حوار مع سيد رسول موسوي، وكالة أنباء الطلبة الإيرانية، ٦ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧، http://bit.ly/٢oWmbIl

[١٩] نفس المصدر.

اليوم أمام طالبان مختلفة عمَّا كانت عليه خلال فترة الملا عمر، مدعياً أن مكونات حركة طالبان ليست كلها على نفس الشاكلة. وكانت الرسالة التي يود موسوي إيصالها بكل بساطة هي أن إيران تحتاج لاستعادة قوتها وتأثيرها على الوضع الداخلي الأفغاني.

كما رجح موسوي أن الولايات المتحدة ليست لديها أي مخططات بعيدة المدى في أفغانستان، وكل ما استثمرته في هذا البلد شارف على الانتهاء. وتوقع موسوي أن الأفغان سوف يواجهون عدداً من التحديات الخطيرة، وفي ظل هذا الوضع المرتقب فإن إيران تحتاج للحفاظ على تدخلها اللصيق في الشؤون الأفغانية؛ إذ إن اندلاع حرب أهلية أخرى في أفغانستان ستكون له تبعات وخيمة على إيران، وهو ما أكدته كل التقييمات الاستشرافية التي أجرتها الحكومات المتعاقبة على طهران منذ سبعينات القرن الماضي، بحسب تعبير موسوي.[٢٠]

كما أظهر موسوي انفتاحاً حيال أهمية زواج المصلحة مع طالبان، كوسيلة مفيدة لمنع صعود تنظيم الدولة في أفغانستان، حيث قال: "إن حركة طالبان تعتقد أن أفغانستان هي بلد الأفغان فقط؛ لذا هي تعارض أي حضور عسكري أجنبي". ومن وجهة نظر طهران يمكن تحريك حركة طالبان ضد طالبان باكستان أيضاً، التي تنظر إليها طهران على أنها لا تختلف كثيراً عن تنظيم الدولة في سوريا والعراق، باعتبار أنها تقوم باستقطاب وتجنيد الشباب من الباكستانيين ومن دول آسيا الوسطى، ولكن ليس من الأفغان.

في سياق متصل، أضاف موسوي: "لا أحد يمكنه أن يتوقع أن تكتفي إيران بالمشاهدة أمام صعود داعش". كما استبعد أيضاً فكرة أن تكون العلاقات الناشئة بين بلده و"طالبان الجديدة" أمراً مثيراً للقلق، وتساءل: "إذا ذهبت الحكومة

---

[٢٠] حوار مع سيد رسول موسوي، وكالة أنباء الطلبة الإيرانية، ٦ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧، http://bit.ly/٢oWmbIl

الأفغانية في محادثات سلام مع طالبان، بمشاركة ودعم من الصينيين والباكستانيين والأمريكيين، فلماذا لا تشارك إيران أيضاً؟".[٢١]

وفي موقف آخر أكثر من لافت، تحدث موسوي بنبرة سلبية حول النخبة السياسية الأفغانية، موضحاً: "لا أحد من السياسيين الأفغان يتصرف بشكل شفاف، لذلك تواجه إيران وبقية الدول ضبابية في الرؤية حول أفغانستان بسبب عدم نضج البعض من النخب السياسية التي تزيد الأمور سوءاً". وبناء على هذه التصريحات الصادرة عن دبلوماسي مخضرم وبارز، يبدو أن إيران ستبقي على جميع الخيارات على الطاولة، ومن ضمنها الدخول في مفاوضات مع حركة طالبان والتوصل إلى تسويات معها.[٢٢]

وفي هذه الأثناء يبدو أن إيران ليست هي الوحيدة التي وجدت نفسها منفتحة على تغيير نظرتها إلى طالبان. فإلى جانب الإيرانيين يبدو أن الروس أيضاً أصبحوا أكثر انفتاحاً في دعمهم لمطالب طالبان الأساسية المتمثلة أساساً في انسحاب القوى الأجنبية العسكرية من بلادهم،[٢٣] وهو ما يمثل ضربة للولايات المتحدة. وفي آذار/مارس قررت واشنطن رفض دعوة موسكو لحضور مؤتمر حول مستقبل أفغانستان؛ بسبب خلاف حول قائمة المشاركين الذين سيحضرون. ولكن الأمر في الواقع يتجاوز مجرد الفشل في تنسيق المؤتمر وضبط قائمة المدعوين؛ إذ يتعلق أكثر بمخاوف واشنطن حول الأهداف الحقيقية التي كانت موسكو تضمرها.[٢٤]

---

[٢١] نفس المصدر؛ لمزيد من التوضيحات انظر: فاطمة أمين، "السلام مع طالبان يمكن أن يعرقل صعود تنظيم الدولة في أفغانستان"، معهد دراسات الشرق الأوسط، ٢ آذار/مارس ٢٠١٦، http://www.mei.edu/content/article/peace-taliban-could-stem-isis-growth-afghanistan

[٢٢] حوار مع سيد رسول موسوي، وكالة أنباء الطلبة الإيرانية.

[٢٣] هنري ماير، "روسيا تدعم مطلب طالبان أفغانستان بانسحاب القوات الأجنبية،" بلومبيرغ، ٣١ آذار/مارس ٢٠١٧، https://www.bloomberg.com/news/articles/٢٠١٧-٠٣-٣١/russia-backs-afghantaliban-demand-to-withdraw-foreign-troops

[٢٤] أسوشيتد برس: "الولايات المتحدة ترفض دعوة لحضور مؤتمر سلام أفغانستان في روسيا،" إذاعة أوروبا الحرة، ٢٤ آذار/مارس، ٢٠١٧، http://www.rferl.org/a/afghanistan-u-s-turn-down-russia-conference/٢٨٣٨٨٦٦٤,html

وفي محطات أخرى في هذا الملف، كانت مواقف واشنطن أكثر وضوحاً. ففي شباط/فبراير من سنة ٢٠١٧، صرح قائد القوات الأمريكية في أفغانستان، الجنرال جون نيكولسن، بأن روسيا وإيران تدعمان طالبان، بهدف إفشال مهمة الولايات المتحدة وحلف الناتو في أفغانستان.[٢٥] يعيد هذا التحالف التكتيكي الإيراني الروسي في أفغانستان إلى الأذهان مواقف مشابهة في الماضي، ويظهر أن طهران لا تزال تتصرف بعقلية لعبة التوازنات التي كانت سائدة خلال التسعينات، والتي غذت الحرب الأهلية الأفغانية، التي كانت روسيا وإيران تقفان فيها على نفس الجانب، واليوم يبدو أن هذا الأسلوب الخطير لم يندثر بل عاد بقوة.

المخاوف الأمنية المشروعة في مواجهة المخاطرة بالتدخل في شؤون الأفغان

على صعيد العلاقات الثنائية بين البلدين، وخلال السنوات الثماني والثلاثين الماضية، كانت قضية معاملة الأفغان الذين يعيشون في إيران إحدى أكثر المسائل إثارة للجدل بين طهران وكابول. وقد اشتكت الحكومات الأفغانية المتعاقبة من السياسات التمييزية التي تستهدف مواطنيها في إيران، في المقابل كانت هذه الأخيرة ترد بالتهديد بترحيل كل الأفغان كوسيلة للضغط على كابول وإجبارها على اتخاذ قرارات معينة.

على سبيل المثال، اشتكت مجموعة من المسؤولين الأفغان في سنة ٢٠١٢ من أن السفير الإيراني في كابول حذرهم من أن بلاده سوف تطرد اللاجئين الأفغان، إذا تجرأت الحكومة الأفغانية على توقيع اتفاقية الشراكة الإستراتيجية مع واشنطن، وهو الأمر الذي قامت به كابول في أيار/مايو من سنة ٢٠١٢.[٢٦] أما طهران فكانت تقر بوجود بعض التمييز ضد الأفغان

---

[٢٥] فيل ستيوارت و إدريس علي، "جنرال أمريكي: روسيا ربما تكون بصدد المساعدة في دعم متمردي طالبان"، رويترز، ٢٣ آذار/مارس ٢٠١٧ www.reuters.com/article/us-usa-afghanistan-russia-idUSKBN١٦U٢٣٤

[٢٦] بن فارمر، "إيران تهدد بطرد اللاجئين الأفغان إذا صادقت كابول على اتفاقية الشراكة الإستراتيجية الأمريكية"، التلغراف، ١٠ أيار/مايو ٢٠١٢، http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/asia/afghanistan/٩٢٥٦٦٠٢/Iran-threatens-to-expel-Afghan-refugees-if-Kabul-ratifies-US-strategic-partnership.html

الذين يعيشون على أراضيها، إلا أنها كانت تتعامل مع الاتهامات بكل حساسية خوفاً من تأثيرها السلبي على مساعيها لاستخدام القوة الناعمة للتغلغل في النسيج الأفغاني.

وفي بعض الفترات تكونت لدى الإيرانيين مخاوف مفهومة من تدفق المهاجرين الأفغان، حيث إن أعداد هؤلاء مرتفعة بشكل لافت. واليوم يعيش نحو ٣ ملايين أفغاني في إيران، رغم أن أرقامهم غير مصرح بها بشكل رسمي.[٢٧] وقد بدأت أول عملية هجرة جماعية للأفغان نحو إيران إبان الغزو السوفييتي لبلادهم سنة ١٩٧٩. وبسبب الاقتتال المستمر بين مختلف الفصائل السياسية الأفغانية، فإنه لا الانسحاب السوفييتي سنة ١٩٨٩ ولا إسقاط الولايات المتحدة لحكم طالبان سنة ٢٠٠١، أدّيا لإنهاء تدفق الأفغان على إيران لأسباب تتراوح بين الأمنية، الاقتصادية، أو بحثاً عن فرص التعليم.

كما ينتظر أن يتواصل هذا التدفق وربما تزداد وتيرته بشكل لافت. بين سنة ٢٠٠١، عندما تدخلت الولايات المتحدة عسكرياً في أفغانستان، وسنة ٢٠١٦، ازداد تعداد السكان في هذا البلد من ٢٠,٥ مليوناً إلى ٣٢,٥ مليوناً.[٢٨] وبالاستناد إلى بعض التوقعات يبدو أن تعداد أفغانستان السكاني سيصل إلى ٦٥ مليون نسمة بحدود سنة ٢٠٥٠،[٢٩] و١١٠ ملايين بحلول سنة ٢١٠٠.[٣٠] ومن وجهة نظر طهران فإن ارتفاع وتيرة تدفق الأفغان على أراضيها ستكون له تبعات وخيمة على استقرارها الداخلي.

وبشكل عام هناك ثلاثة عوامل رئيسية ساهمت في تشكيل موقف إيران من الأفغان الوافدين عليها؛ وهي: اضطرار طهران إلى التقيد بقوانين الأمم المتحدة باعتبارها بلداً عضواً في وكالة الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين وموقعة على اتفاقية حماية

---

[٢٧] مجالي أفغانستان، ناتسناغفا ونارِيا طباور - ناتسناغفا هلجم، فيديو يوتيوب، ١٤ حزيران/يونيو ٢٠١٢، https://www.youtube.com/watch?v=٥W١Cp٩eIZrI

[٢٨] البنك الدولي، بيانات حول أفغانستان، نشرت في ١١ أغسطس/آب ٢٠١٧، http://dataworldbank.org/country/Afghanistan

[٢٩] مكتب مراجعة السكان، التوقعات الديمغرافية المنشورة في ١١ أغسطس/آب ٢٠١٧، http://www.prb.org/DataFinder/Topic/Rankings. aspx?ind=١٥

[٣٠] المتاعب المتزايدة"، الإيكونوميست، ٥ أيار/مايو ٢٠١١،، http://www.economist.com/blogs/dailychart

اللاجئين، بالإضافة إلى استفادتها من العمالة الرخيصة التي يمثلها الأفغان بالنسبة للاقتصاد الإيراني، والرغبة في التقرب من بعض مكونات الشعب الأفغاني حتى تتم استمالتها لتصبح حليفة سياسية طبيعية لطهران.

في الواقع أثارت المحاولات لتوفير العامل الأخير جدلاً وخلافاً في العلاقات الإيرانية الأفغانية.[٣١] وقام حرس الثورة الإسلامية الإيراني من جانبه خلال السنوات الستة الماضية بتعبئة وتدريب وتجهيز ونقل الآلاف من الأفغان الشيعة إلى ساحات المعارك في سوريا والعراق. ويبلغ عدد الأفغان الذين يقاتلون في سوريا نحو ١٨ ألف أفغاني، وفقاً لما أفادت به بعض الإحصاءات.[٣٢] ومن المرجح أن تكون هذه الأعداد مضخمة بشكل مقصود.

مع ذلك تتواتر الأدلة بشأن تواصل تجنيد الأفغان ونقلهم إلى سوريا والعراق عن طريق السلطات الإيرانية، حيث ينتمي معظم هؤلاء الأفغان إلى لواء فاطميون، وقد لقي مئات منهم حتفهم في سوريا والعراق.[٣٣] والجدير بالذكر أن إيران أطلقت وعوداً متعلقة بفوائد اقتصادية أو تصاريح إقامة لمتطوعي الأفغان المسافرين إلى سوريا. وقد مثلت مثل هذه الخطوات الإيرانية مصدر إزعاج شديد للحكومة الأفغانية في كابول.[٣٤]

---

[٣١] فرناز فصيحي وإحسان الله أميري، "الأفغان يدينون إيران لتجنيدها اللاجئين للقتال في سوريا"، وول ستريت جورنال، ٢٢ أيار/مايو ٢٠١٤، www.wsj.com/articles/SB١٠٠٠١٤٢٤٠٥٢٧٠٢٣٠٣٧٤٩٩٠٤٥٧٩٥٧٦١٣٢٢٨٩٧٢٩٢٠٤

[٣٢] أحمد مجيديار، "إيران تجند وتدرب أعداداً كبيرة من الأفغان والباكستانيين الشيعة"، معهد الشرق الأوسط، ١٨ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧، http://www.mei.edu/content/article/io/iran-s-recruit-ment-afghan-pakistani-shiites-further-destabilizes-south-asia

[٣٣] وفقاً لما أفادت به وكالة الأنباء "تسنيم" التابعة لحرس الثورة الإسلامية الإيراني، أُسّس لواء فاطميون من قبل زعيمي جماعتين شيعيتين أفغانيتين وهما "جيش محمد"، وهي جماعة تدعمها إيران عملت ضد طالبان في أفغانستان خلال التسعينات. بالإضافة إلى "لواء أبو ذر" الذي قاتل جنباً إلى جنب مع قوات الجيش الإيراني ضد العراق خلال الثمانينات.

[٣٤] أحمد مجيديار، "الأفغان يحثون يومياً كابول لإيقاف طهران إرسال اللاجئين إلى سوريا على الخطوط الأمامية من الحرب"، معهد الشرق الأوسط، ٩ آذار/مارس ٢٠١٧، http://www.mei.edu/content/io/afghan-daily-urg-es-kabul-stop-tehran-deploying-refugees-syria-front-lines

في هذا الصدد، حذّر بعض المسؤولين الأفغان من أن هذه التعبئة الإيرانية للأفغان، من خلال ما يرق إلى أن يكون رسالة طائفية، من المحتمل أن تزعزع استقرار مستقبل أفغانستان الأمني بشكل كبير نظراً للانقسام الشيعي السني في البلاد، والتوترات الطائفية خلال السنوات الأخيرة.

عقلية المجموع الصفري التي لا طائل منها

تمتلك إيران، باعتبارها دولة مجاورة لأفغانستان، كامل الحق في شعورها بالقلق إزاء التطورات الحاصلة فيها. وينطبق الأمر ذاته على جميع الدول المجاورة لأفغانستان، انطلاقاً من باكستان والصين، ووصولاً إلى دول آسيا الوسطى والشمالية. فضلاً عن ذلك هناك تاريخ موثق جيداً لانعدام الاستقرار الداخلي في أفغانستان خلال العقود الأخيرة بشكل يؤثر مباشرة على البلدان المجاورة.

على الرغم من ذلك يبدو أن سياسات طهران الحالية تحركها في الغالب رغبتها في وضع حد لتأثير منافسيها. وبينما يتحدث المسؤولون الإيرانيون علناً عن "حل إقليمي" باعتباره السبيل الوحيد للمضي قدماً، أظهرت طهران من الناحية العملية رغبة ضئيلة للغاية للتوصل إلى اتفاق مع الأمريكيين والباكستانيين والسعوديين بشأن المسألة الأفغانية. وفي الوقت الراهن تمثل صيغة "الحل الإقليمي" التي أعلنت عنها إيران مجرد حلم كاذب، أو إلهاء متعمداً في أسوأ الحالات.

ومن المؤكد أن هذا الحل لا يشمل شركاء واضحين ربما باستثناء روسيا، التي تميل بشكل متزايد إلى التعاون مع إيران حول الأهداف الإقليمية المشتركة على المدى القصير. ومن الممكن أن يتجلى هذا التعاون في أبهى حلله من خلال الجهود المشتركة بين الطرفين من أجل الإبقاء على نظام الأسد في سوريا. وستنظر طهران من جهتها إلى الماضي وإلى المحاولات الفاشلة لتعزيز التعاون بشأن مستقبل أفغانستان لتبرير نهجها الحالي القائم على عقلية "المجموع الصفري".

بالإضافة إلى ذلك، تجادل إيران أن كل دولة أخرى لها مصلحة في أفغانستان تسعى إلى تحقيق خطة قائمة على لعبة "الفائز يحظى بكل شيء". وقد يُفسّر خصوم إيران إشارتها إلى الرغبة في تعدّد الأطراف باعتبارها مؤشراً على ضعفها، وهي ليست الرسالة التي ترغب طهران في إيصالها. مع ذلك قد تكون محاولة صادقة أخرى لتطبيق إستراتيجية متعددة الأطراف

لتحقيق الاستقرار في أفغانستان، أو على الأقل لتجنب جرّ الأفغان إلى صراعات في أماكن أخرى من العالم الإسلامي، على غرار سوريا، جديرة باهتمام السلطات الإيرانية.

في هذا السياق تبرز قضية ملحة أخرى وهي موقف إيران إزاء الدور المستقبلي الذي ستضطلع به الولايات المتحدة في أفغانستان. وكي لا تتخلف إيران عن الركب يجب عليها القبول علناً بحقيقة أن الوجود الأمريكي في أفغانستان من المرجح أن يستمر في المستقبل المنظور. وفي الواقع قد يكون هذا الوجود الأمريكي ملائماً لمصالح السياسة الإيرانية المباشرة من قبيل مكافحة تنظيم الدولة أو جهود الدمج الاقتصادي الإقليمي.

تجدر الإشارة إلى أن الحقائق على الأرض وحدها كفيلة بالتشجيع على إعادة تقييم إيران لموقفها. فخلال سنة ٢٠١٤، وحين فاز أشرف غني بالانتخابات الرئاسية في كابول على حساب عبد الله عبد الله المدعوم من قبل إيران، خاب أمل الإيرانيين حينها. وكان يُنظر إلى غني على أنه مقرب من الغرب، حيث أمضى عقوداً خارج أفغانستان بما في ذلك سنوات عديدة في الولايات المتحدة. كما كان صريحاً بشأن رغبته في رؤية الولايات المتحدة وهي تؤدي دوراً حاسماً في المستقبل الأفغاني، ولكن لم يكن لذلك أن يحدث على حساب العلاقات الإيرانية الأفغانية.

في وقت مبكر من فترته الرئاسية، صرّح غني لوسائل الإعلام الإيرانية بأنه "لا وجود لنزاع حدودي بين البلدين، علاوة على أننا نمتلك أجندة اقتصادية شاملة للغاية فيما يتعلق بإيران". ومنذ ذلك الحين عمل غني على الدفع بهذه الأجندة إلى الأمام، كما أشار إلى أن إيران مستورد أساسي للأغذية، وهو ما يمثل فرصة للمزارعين الأفغان لإنتاج حاجة السوق الإيرانية المؤلفة من ٨٠ مليون نسمة.

فضلاً عن ذلك أوضح غني أن أفغانستان، الدولة غير الساحلية، تعتبر إيران أفضل خيار عبور للتجارة الأفغانية لبلوغ بقية مناطق العالم، وشجع طهران على استكمال ميناء تشابهار، وهو ميناء إيراني يقع على خليج عمان من المتوقع أن يصبح بوابة رئيسية للتجارة الإقليمية. في هذا الإطار صرّح غني أن "ميناء تشابهار ذو أهمية بالغة بالنسبة لأفغانستان".

في مطلع سنة ٢٠١٢ أعطت واشنطن موافقتها للهند وأفغانستان للمضي قدماً في المحادثات مع إيران من أجل تطوير الميناء، على الرغم من أن السياسة الأمريكية كانت تسعى آنذاك إلى عزل إيران دولياً بسبب أنشطتها النووية.[٣٥] وفي أيار/مايو سنة ٢٠١٦، وحين وقّع قادة الهند وإيران وأفغانستان ما يُسمى "باتفاق تشابهار"، كانت الولايات المتحدة لا تزال غير معارضة لذلك.

في أواخر آذار/مارس سنة ٢٠١٧ ذكرت وسائل الإعلام الإيرانية أن واشنطن كانت داعمة لمشروع تشابهار نظراً لأنه يعزز أمن الاقتصاد الأفغاني. من جانبه قال الجنرال الأمريكي وقائد القوات الأمريكية في أفغانستان، جون نيكلسون، خلال جلسة استماع أمام مجلس الشيوخ الأمريكي إن مشروع تشابهار مثّل خطوة إيجابية "إذ إنه سيتيح لأفغانستان بديلاً حيوياً واقتصادياً لشحن كل سلعها عبر باكستان".[٣٦] ويناقض هذا الموقف وجهة النظر التي لطالما تبنتها إيران والقائلة إن هدف الأمريكيين الأساسي في أفغانستان هو إبقاء النفوذ الإيراني خارج البلاد.

في المقابل لطالما أوضح أشرف غني أن الاتفاق الأمني الثنائي بين الولايات المتحدة وأفغانستان، الذي سيظل بموجبه الجيش الأمريكي في أفغانستان، لا يشكل تهديداً لإيران. ووفقاً لما أفاد به غني لا ينبغي أن يخشى الإيرانيون من الالتزام الأمريكي على المدى الطويل في بلادهم، بل يجب أن يرحبوا به؛ ذلك أن تحسن الوضع الأمني في أفغانستان هو بمثابة تعزيز للأمن الإيراني. وتعهد غني، في سبيل طمأنة جاره الإيراني، بأن أفغانستان لن تصبح أبداً مسرحاً لأي تدخل ضد إيران. وقد كانت هذه الرسالة واضحة حيث سيكون من الحكمة ألَّا تتوقع إيران أن تتخلى كابول عن شراكتها مع واشنطن.

وممَّا لا شك فيه أن المساحة المتاحة لإيران للتنافس على السلطة في أفغانستان تملؤها أعمال الأفغان. وبعد ١٥ سنة من سقوط طالبان ومليارات الدولارات من المساعدات الخارجية التي قُدّمت لاحقاً، لا تزال البلاد تواجه قائمة من التحديات

---

[٣٥] أبارنا باندي وألكس فاتانكا، "العلاقات الأمريكية-الهندية-الإيرانية"، معهد هدسون، ١٥ حزيران/يونيو ٢٠١٢، https://hudson.org/research/٨٩٩٤-u-s-in- dia-iran-ties

[٣٦] الولايات المتحدة ترحب بخطة الهند لميناء تشابهار" برس تي في، ١٦ آذار/مارس ٢٠١٧، http://www.presstv.ir/Detail/٢٠١٧/٠٣/١٦/٥١٤٥٦٩/US-wel-comes-Indias-Chabahar-port-plan

المدمرة. وما دامت الجماعات السياسية الأفغانية ذات المصالح المختلفة تستمر في البحث عن متبرعين خارجيين، فإن إيران، جنباً إلى جنب مع الأطراف الإقليمية الأخرى، ستكون على استعداد لتقديم دعمها وتفضيل مصالحها الخاصة أثناء ذلك.

عموماً تجد أفغانستان نفسها في موقف صعب ما بين التراجع السياسي المتكرر والتنافس على السلطة بين النخبة الصغيرة للبلاد من جهة، وانتشار الفساد والشعور العميق باليأس في صفوف عامة الأفغان من جهة ثانية. وفي خضم كل صراعاتها الداخلية تحتاج أفغانستان أيضاً إلى التنافس مع الأجندات المتنافسة للقوى الأجنبية، بما في ذلك الدول على غرار الولايات المتحدة، التي لا تزال تشارك في الجهود الرامية إلى تحقيق الاستقرار في البلاد. بالإضافة إلى الدول المجاورة من قبيل إيران وباكستان، والسعودية البعيدة جغرافياً، التي لا تزال تعتبر الأراضي الأفغانية ساحة معركة للتنافس الجيوسياسي من خلال دعم الوكلاء المحليين.[٣٧]

وبفضل مجموعة من العوامل، ستظل إيران لاعباً رئيسياً في أفغانستان. وفي الوقت الذي تعتبر فيه بعضاً من مصالحها مشروعة تماماً ومفيدة للطرفين، على غرار جهود الدمج الاقتصادي التي ستخدم مصالح كابول وطهران على حد سواء، إلا أن سياسات إيرانية أخرى، من قبيل تعبئة الأفغان الشيعة مثلما هو الحال في الصراع في سوريا، تقوض الاستقرار الأفغاني على المدى الطويل. ببساطة، ونظراً لامتدادها العميق في المجتمع الأفغاني وفي صفوف الطبقة السياسية في كابول، يُمكن لسياسات طهران أن تقطع شوطاً طويلاً كعامل يُساهم في تشكيل المستقبل الأفغاني. مع ذلك يبدو ميل طهران إلى النظر في العلاقات مع أفغانستان كفرصة لها للفوز بكل شيء، أو السعي صراحة إلى انتهاج سياسة "لا فائز" في أفغانستان كما يجادل بعض المحللين الإيرانيين، غير مفيد إلى حد كبير.

رابط المصدر: http://www.atlanticcouncil.org/images/Irans_Bottom_Line_in_Afghanistan_web_1109.pdf

---

[٣٧] لكس فاتانكا، "الولايات المتحدة ضد باكستان ضد إيران: "المعركة الثلاثية على أفغانستان"، ناشيونال إنترست، ١٥ حزيران/ يونيو ٢٠١٦، http://nationalinterest.org/feature/usa-vs-pakistan-vs-iran-the-three-way-battle-afghanistan-16599?page=show